مأساة مصرع روميل

بينما كان الفيلد مارشال إروين روميل يتحرك فى سيارة عسكرية فوق أحد الطرق الفرنسية فى جبهة نورماندى ذات صباح فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٤ تعرضت سيارته للإصابة بقنبلة أسقطتها إحدى طائرات الحلفاء أثناء إحدى الغارات الجوية ، وأصيب روميل فى وجهه إصابة خطيرة أثرت على إحدى عينيه ونقل روميل إلى مستشفى فى ألمانيا لكى يتلقى العلاج . وعندما تحسنت حالته خرج من المستشفى وتقررت له إجازة مرضية يقضيها فى منزله للنقاهة من الإصابة التى تعرض لها .

وكانت الهزائم قد لحقت بالجيوش الألمانية على كل جبهات القتال شرقا وغربا ، وأصبح هتلر يلقى اللوم على قادته الميدانيين بوجه خاص ويشك فى مدى إخلاصهم لزعامته . إن طعم الهزيمة شديد المرارة دائما ، ولقد بدأ الزعيم الفوهرر فى هذه المرحلة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية تحيط به هالة القداسة التى كان يزعمها لنفسه ويوهم بها الشعب الألمانى من خلال جهاز دعايته الرهيب باعتبار أنه الزعيم الفوهرر القائد الملهم الذى يضع الخطط الحربية الناجحة بنفسه ليتلقفها قادته العسكريين وليس لهم فيها إلا مجرد تنفيذها كما هى ليتحقق لهم النصر السريع بكل سهولة . زالت الهالة التى كانت تحيط بالزعيم العبقرى الملهم القائد الفوهرر الذى أنقذ ألمانيا من آلام الهزيمة فى الحرب العالمية الأولى ، وبدأ كثير من الألمان يرتابون فى سلامة سياسة الفوهرر أدولف هتلر سياسيا وعسكريا واقتصاديا وأدركوا غباء تفكيره وسذاجته السياسية والعسكرية عندما توهم أن ألمانيا تستطيع أن تهزم العالم كله وأن تسيطر على العالم كله لتكون ألمانيا فوق الجميع . وأدرك كثير من الألمان أن ألمانيا يستحيل أن تهزم العالم كله بما فيه إنجلترا وفرنسا وروسيا وأمريكا كما توهم هتلر .

ولكن هتلر كان ممسكا بكل زمام السلطات فى ألمانيا ولا يجرؤ صوت إنسان

ألمانى أن يجهر بمثل هذه الآراء التى تعبر عن عدم الثقة فى سلامة اتجاهات هتلر السياسية أو خططه وقراراته العسكرية المهلكة للعسكريين الألمان وبدأت دائرة الحرب تدور على المدنيين الألمان فى المدن الألمانية ذاتها من جراء تعرض المدن الألمانية لغارات طائرات الحلفاء على الرغم من تصريح جورنج ، مارشال الرايخ والنائب الأول لهتلر وقائد سلاح الطيران إذ قال : «اطلقوا علىَّ لقب «مائير» لو تعرضت مدينة ألمانية لقصف طائرة من طائرات الحلفاء» . ومائير لقب يطلق على المرأة التى تحترف البغاء . وهاهى ذى طائرات الحلفاء تقصف المدن الألمانية ذاتها بالقنابل فى غارات كثيفة متتالية ، ولم يكن ألمانى واحد يجرؤ أن يطلق على جورنج لقب «مائير» .

ولكن صدور الألمان عموما كانت تغلى غضبا من تطورات الحرب وهزائم الجيوش الألمانية على كل الجبهات ، وبدأ بعض الضباط يخططون المؤامرات لاغتيال هتلر . وعلى سبيل المثال لمحاولات اغتيال هتلر وقع حادث انفجار لقنبلة فى قاعة كان من المقرر أن يحضر إليها هتلر لكى يتحدث إلى الناس ليبث فى قلوبهم شيئا من الاطمئنان وانفجرت القنبلة فى القاعة المعدة لمجيء هتلر ، ولكن هتلر لم يكن قد حضر فى الموعد المقرر لحضوره ونجا من الاغتيال بمحض الصدفة ، ولكن الانفجار تم رصده كدلالة على ازدياد المعارضة للفوهرر بين الألمان .

وفى يوم ٣٠ مارس ١٩٤٣ عمل الجنرال «فون شلابر ندورف» على تسريب قنبلة إلى داخل طائرة كان من المقرر أن ينتقل بها هتلر فى طريق عودته من الجبهة الشرقية إلى مقر قيادته ، ولكن القنبلة لم تنفجر لعطل فى المفجر الموجود بداخلها ، ونجح الجنرال فون شلابر ندورف فى استعادة القنبلة بعد هبوط الطائرة بسلام قبل العثور عليها .

وفى يوم ١١ يوليو عام ١٩٤٤ ، كان الكولونيل «كلاوس فون شتاوفينبيرج» واحدا من ضباط الأركان حرب فى قيادة هتلر لسابق إصابته وفقدانه عينه اليسرى وذراعه الأيمن ، وكان له حق حضور اجتماعات الفوهرر مع قادته العسكريين فى مقر قيادته العسكرية فى «بيرتشتيسجادن» ، فعمد

الكولونيل «كلاوس» إلى وضع قنبلة موقوته فى حقيبة يد صغيرة ، ولكنه لم يستطع إدخالها إلى مقر الاجتماع لدقة التفتيش فترك الحقيبة بعد إبطال جهاز التوقيت فى خارج القاعة وأخذها بعد انتهاء الاجتماع وحانت له فرصة مناسبة لإدخال القنبلة إلى مقر الاجتماع يوم ٢٠ يوليو عام ١٩٤٤ ، وتمكن الكولونيل كلاوس من أن يضع القنبلة تحت المنضدة التى كان هتلر يجلس إليها وجهاز التوقيت مضبوط بحيث تنفجر القنبلة بعد عشر دقائق ، واستأذن الكولونيل كلاوس للذهاب إلى دورة المياة ، وبعد خروجه من مكان الاجتماع انفجرت القنبلة بالفعل ، وقتل أربعة من الحاضرين على الفور وأصيب آخرون إصابات خطيرة ، ولكن المنضدة ذاتها طارت فى الهواء لكى تلتصق بجسم هتلر وأنقذته المنضدة من موت محقق وإن كان قد أصيب ببعض الجروح والحروق ولكنه لم يكن من بين القتلى .

وازدادت هواجس ومخاوف هتلر من ضباط قيادته ومن المؤامرات المتكررة لاغتياله ، وازدادت الرقابة على كبار الضباط الألمان بوجه خاص .

وأثناء وجود الفيلد مارشال إروين روميل بالمستشفى لتلقى العلاج ، وأثناء قضائه فترة النقاهة بمنزله فى شهر أغسطس ١٩٤٤ كان يزوره كثير من القادة الألمان وكانوا يتحدثون عن التطورات السياسية والعسكرية على مختلف الجبهات، وكانت الآراء التشاؤمية تفرض نفسها خلال أحاديثهم . وكان مضمون هذه الأحاديث يصل إلى هتلر بطبيعة الحال .

وعلى الرغم من أن الفيلد مارشال إروين روميل كان قد جهر برأيه إلى الفوهرر نفسه فى ضرورة إنهاء الحرب والتفاوض مع الحلفاء من أجل هذا الغرض إلا أن هتلر بعناده كان يرفض مثل هذه النصائح .

وعلى الرغم من أن الفيلد مارشال إروين روميل لم يتورط فى أى محاولة إجرامية لاغتيال هتلر ، فلقد كان المتآمرون فيما بينهم يرشحون الفيلد مارشال إروين روميل ليكون رئيسا لألمانيا فى حالة نجاح مؤامراتهم لاغتيال هتلر ؛ وذلك نظرا لرتبة روميل العسكرية الرفيعة المستوى ولتقدير ومحبة الشعب الألمانى له لإنجازاته العسكرية الكبيرة التى أضاع هتلر ثمارها بقراراته المهلكة .

وعندما شعر روميل بشكوك وهواجس هتلر بشأن ولاء روميل للفوهرر ، كتب روميل رسالة طويلة إلى هتلر بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٩٤٤ قال له فى مستهلها : «سيدى الفوهرر : لسوء حظى أجد أن صحتى ليست على ما يرام حتى الآن . الكسر الرباعى الذى أصابنى فى الجمجمة وتدهور الموقف العسكرى لنا فى الجبهة الغربية ، وأخيرا إعفاء رئيس أركان حربى الچنرال شبايدل من الخدمة العسكرية و«القبض عليه» وهو شيء علمته بمحض الصدفة، هذا وذاك وكله قد فرض على أعصابى أعباء ثقيلة لا أستطيع أن أتحملها .... واستطرد روميل بعد هذه السطور فى محاولة لإثبات براءة الچنرال «شبا يدل» وكفاءته وإخلاصه وأمانته ، ثم تطرق إلى إثبات بطلان بعض الشائعات والآراء المغرضة التى عرف روميل أنها قد تسربت إلى هتلر عن روميل نفسه ... وفى ختام هذه الرسالة الأخيرة الطويلة قال روميل : «أنت تعرف يا سيدى الفوهرر أننى قد بذلت كل جهدى وطاقتى وقواى فى حملة فرنسا عام ١٩٤٠ وفى إفريقيا عام ١٩٤١ – ١٩٤٣ وفى إيطاليا فى عام ١٩٤٣ وأخيرا فى جبهة نورماندى بفرنسا فى عام ١٩٤٤ ، وكانت فكرة واحدة تسيطر على كل مشاعرى دائما وهى أن أقاتل وأنتصر لألمانيا الجديدة تحت قيادتك . وليحيا سيدى الفوهرر .

توقيع : (أ . روميل)

«روميل قبل وفاته بفترة وجيزة»

ولم تفلح هذه الرسالة من روميل فى تبديد مخاوف وشكوك هتلر فى ولاء روميل ، بالإضافة إلى مخاوف هتلر من أن يرشح المتآمرون ضده روميل لكى يكون هو مستشار ورئيس ألمانيا بعد اغتياله أو إقصائه عن السلطة .

وفى يوم ٧ أكتوبر ١٩٤٤ ، وصلت إشارة من الفيلد مارشال كيتل إلى روميل فى منزله بمدينة «هرلينجن» يطلب فيها المارشال كيتل من روميل الذهاب إلى برلين لحضور مؤتمر مهم مع الفوهرر يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٤ .

وقال روميل لابنه ما نفريد عندما سأله ما إذا كان سيحضر هذا الاجتماع مع الفوهرر : «أنا لست غبيا إلى هذا الحد . أنا أعرف هؤلاء القوم الآن . من المستحيل أن أصل إلى برلين على قيد الحياة . إنهم يريدون اغتيالى داخل القطار فى الطريق من هرلينجن إلى برلين !» .

وكان صاحب المنزل الذى يقيم فيه روميل صديقا له ، وجرى بينهما حديث عن أصدقاء لهما تم القبض عليهم بواسطة الجوستابو ، فقال «أوسكار فارنى» صاحب المنزل للفيلد مارشال روميل : «ولكن هتلر لن يجرؤ على أن يفعل ضدك شيئا يا روميل لأن لك شعبية كبيرة وستجذب الانتباه على الفور» . ورد عليه روميل بقوله : «أنت مخطئ فى هذا الذى تقوله يا أوسكار . إن هتلر يريد التخلص منى فى أقرب فرصة ، ولن يتردد فى ذلك وبسبب شعبيتى الكبيرة التى تتكلم أنت عنها بوجه خاص» .

وبينما كان روميل يتناول إفطاره مع ابنه ما نفريد قال روميل : «سيصل اثنان من الضباط برتبة جنرال لزيارتنا هنا فى الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم . اليوم سيتقرر مصيرى : إما قيادة جديدة فى جبهة متهاوية ، أو محاكمة وإعدام» .

وقبل الساعة الثانية عشر بقليل عمد الفيلد مارشال روميل إلى تغيير ملابسه، وارتدى حلته العسكرية وعلامة رتبته . وفى الساعة الثانية عشرة وصلت سيارة خضراء اللون تحمل أرقام مدينة برلين ووقفت أمام باب حديقة منزل روميل . كان بالمنزل آنذاك زوجة روميل وابنه «مانفريد» وسكرتيره النقيب «آلدنجر» وعريف محارب قديم من مصابى الحرب . ونزل من السيارة الخضراء كل من الجنرال «بيرجدوف» والجنرال «مايزل» وهما من ضباط الصاعقة (S.S.) وطلبا أن يتحدثا إلى روميل على انفراد فانسحب مانفريد ومعه آلدنجر من الحجرة .

وبعد عدة دقائق نزل الضيفان القادمان من برلين إلى الحديقة ، ودخل روميل غرفة زوجته ثم خرج منها ودخل حجرة ابنه مانفريد وقال له ببطء شديد: «لقد اضطررت أن أخبر والدتك أننى سأموت بعد ربع ساعة . إن موت الرجل بيد بنى وطنه صعب على النفس . ولكن المنزل الآن محاصر بقوات الصاعقة (S.S.) ، وتوجد لهم قوات كبيرة فى شوارع المدينة أيضا ، وهتلر يتهمنى بالخيانة العظمى ، ونظرا لخدماتى فى ميدان شمال إفريقيا فهو يقترح أن يكون موتى باستخدام السم ، وقد أحضر الجنرالان الكمية اللازمة منه معهما ، وهو سم يقتل من يتناوله فى ظرف ثلاث ثوان فقط . ولو أننى وافقت على اقتراح هتلر ولم أقاوم ، لن يتخذوا أى إجراء ضدك وضد والدتك أو أى شخص من عائلتى من قريب أو بعيد أو ضد أى فرد من هيئة أركان حربى والضباط الذين عملوا معى . وقال له مانفريد : «ولماذا لا نقاوم هذين الضابطين ، هل أنت تصدق وعودهما ؟» فقال روميل : «نعم ، أنا أصدق وعودهما لأن من صالحهم ألا تفوح رائحة اغتيالى . وبالمناسبة فهما قد طلبا منى أن تلتزما بالصمت التام ، ولو خرجت عن طريقك أو عن طريق والدتك كلمة واحدة بهذا الشأن فلن يكون لديهم ثمة التزام بهذه الوعود . ولاجدوى من المقاومة . القوات الموالية لهتلر كبيرة فى البلدة وحول المنزل ، وليس معنا ذخيرة تجدى فى مقاومة فعالة . هذه مسألة محسومة لانقاش فيها يا مانفريد ، والموت لا مفر منه وربما كانت هذه النهاية بالنسبة لى أفضل من نهاية أخرى . ومن الأفضل أن يموت واحد منا هو «أنا» بدلا من أن نموت جميعا . وعلى كل حال ليس عندنا ذخيرة . هتلر يقطع عنى الإمداد بلوازم القتال دائما» .

وطلب روميل من مانفريد أن يستدعى آلدنجر فجاء يجرى صاعدا السلم وصدم صدمة شديدة عندما أنبأه روميل بالخبر وحذره من أن يتكلم عنه ضمانا لاستمرار حياته . وكرر روميل قوله : «من المستحيل أن ندافع عن أنفسنا . لقد أعدوا كل شىء بكل دقة ومهارة . إنهم سيقيمون لى جنازة عسكرية . وقد طالبت إقامتها فى مدينة «أولم» . وفى خلال ربع ساعة ستتلقى يا آلدنجر مكالمة تليفونية من مستشفى «أولم» لأنك الأقدر على احتمال مضمونها من زوجتى أو ابنى مانفريد ، واحذر أن تتفوه فى سماعة التليفون بما ينم عن السخط أو

الغضب أو الشتائم أو معرفتك بأى ظروف تتعلق بوفاتى التى ستسمع نبأها فى هذه المكالمة القادمة من مدينة أولم . وإذا تفوهت بشىء لا يليق أن تقوله ستفقد حياتك فى أقرب فرصة تتاح للفوهرر شخصيا . يجب أن أذهب الآن ، فقد سمحا لى بمدة عشر دقائق فقط للتحدث معكم لترتيب ما يلزم من دواعى التزامكم الصمت التام» .

وارتدى روميل معطفه المصنوع من الجلد ، وخرج مع ابنه وسكرتيره من المنزل إلى الحديقة ومشوا فى ممر بالحديقة ببطء . وكان الجنرالان يقفان عند البوابة . وعندما اقترب روميل منهما رفع كل منهما يده اليمنى بالتحية وقال الجنرال بيرجدورف : « سيدى الفيلد مارشال» . وأفسح طريقا بمدخل البوابة ليمر منه روميل وهو يسير ببطء نحو السيارة الخضراء اللون التى كانت تقف فى الانتظار أمام البوابة ، وفتح سائق السيارة وهو يرتدى ملابس قوات ال.S.S باب السيارة ليدخل إليها روميل وقد وضع عصا الماريشالية تحت إبط ذراعه الأيسر . وكان قد صافح ابنه مانفريد وصافح آلدنجر قبل أن يدخل السيارة مباشرة وصعد الجنرالان بسرعة إلى مقعدين بداخل السيارة التى انطلقت بسرعة لتختفى عن الأنظار عند أقرب منحنى وقال آلدنجر : «من الأفضل يا مانفريد أن نصعد لنكون مع والدتك انتظارا للمكالمة» .

وحاول مانفريد القراءة ، ولكن الكلمات لم يعد لها معنى وبعد عشرين دقيقة، دق جرس التليفون ، ورفع آلدنجر السماعة ليسمع خبر وفاة روميل .

وفى المساء ذهبت زوجة روميل وابنه مانفريد وآلدنجر إلى مستشفى أولم . وكان الأطباء الذين قابلوهم تبدو على وجوههم أمارات الحزن والتجهم دون أى كلمة . لقد كانوا يعرفون السبب الحقيقى لوفاة روميل بحكم المهنة ، ومن الضرورى أنهم قد استلموا التحذيرات اللازمة ، وفتح أحد الأطباء باب حجرة صغيرة كان جثمان روميل ممددا عليها وهو يرتدى معطفه الجلدى فوق ملابسه العسكرية وعليها كل نياشينه ، وكانت ترتسم على وجهه أمارات الاشمئزاز والاحتقار .

كانت السيارة الخضراء قد توقفت فى الطريق بعد مغادرة منزل روميل وبعد

خروجها من المدينة بالقرب من إحدى الغابات . ونزل السائق ومعه الچنرال مايزل من السيارة ، وبقى فيها الچنرال بيرجدورف . وعندما نادى الچنرال بيرجدورف على السائق بعد عشر دقائق كان الفيلد مارشال إروين روميل يجلس على كرسى المقعد الخلفى وقد مالت رأسه للأمام ، وسقطت قبعته عن رأسه، وسقطت عصا الماريشالية من تحت إبطه ، وانطلقت السيارة إلى مستشفى «واجنارشيل» حيث تم إنزال الجثمان إلى داخل المستشفى ، وكتب أحد الأطباء تقريرا طبيا يفيد وفاة الفيلد مارشال إروين روميل وسبب الوفاة هو «جلطة فى المخ» . ووقع أطباء آخرون على التقرير الطبى كأعضاء فى اللجنة الطبية التى فحصت حالة الفيلد مارشال إروين روميل !

وعلى الرغم من معرفة هتلر وبعض معاونيه السبب الحقيقى لوفاة روميل وصلت إلى أسرة روميل برقية نصها كما يلى :

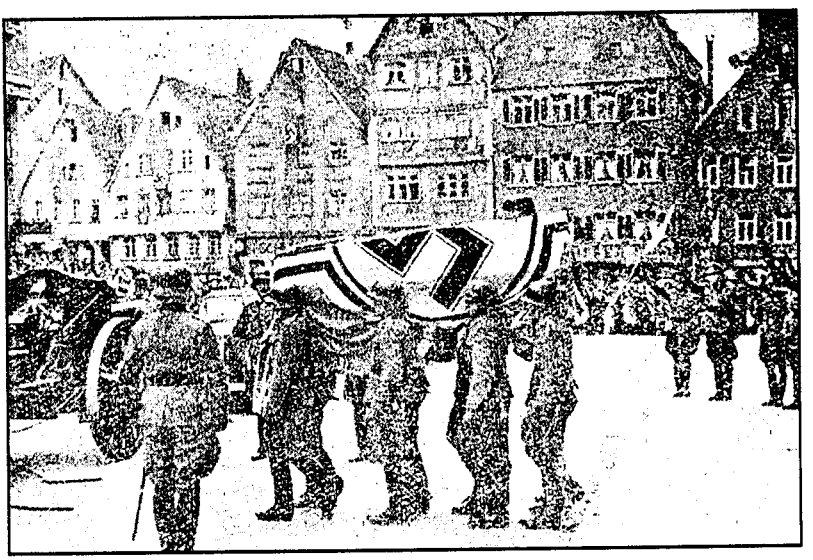

«مشهد من الجنازة العسكرية التى أقيمت لروميل ويظهر فوق النعش خوذته وعصاه

«من ميدان المعركة إلى السيدة روميل فى ١٦ أكتوبر ١٩٤٤ اقبلى خالص عزائى للخسارة الفادحة التى لحقت بك لوفاة زوجك . إن اسم الفيلد مارشال روميل سيرتبط للأبد بمعاركه العظيمة فى شمال إفريقيا» .

«أدولف هتلر»

ومن الغريب المدهش أن وصلت برقية عزاء أيضا من مارشال الرايخ قائد سلاح الطيران ، والنائب الأول للفوهرر جورنج بعد عشرة أيام كاملة من برقية عزاء هتلر . هل كان جورنج لا يرغب فى إرسال برقية تعزية حتى أمره هتلر بأن يرسلها فأرسلها جورنج بتاريخ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٤٤ وكان هتلر قد أرسل برقيته بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٤٤ ؟ وقال جورنج فى برقيته :

من مقر قيادة الفوهرر إلى السيدة روميل فى ٢٦ أكتوبر ١٩٤٤ إن وفاة زوجك البطل نتيجة لجراحه بعد أن كنا جميعا نأمل فى بقائه للشعب الألمانى قد أثر فى نفسى تأثيراً كبيراً للغاية . وأنا أرسل إليك يا عزيزتى السيدة روميل خالص عزائى القلبى عن نفسى وعن السلاح الجوى الألمانى . وأشاطرك الأحزان فى صمت .

المخلص : مارشال الرايخ جورنج

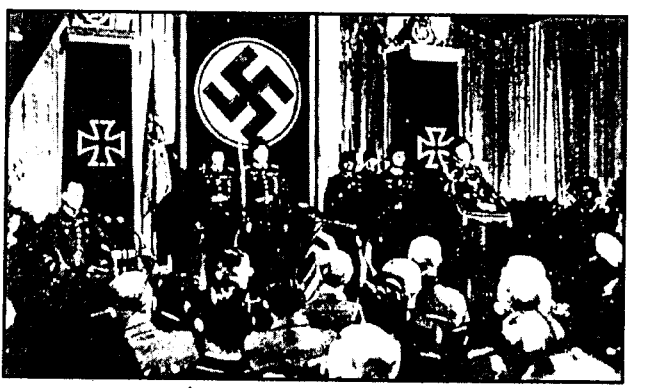

«فيلد مارشال فون روتشتت يلقى كلمة تأبين روميل»

«زوجة روميل وابنه مانفريد روميل فى جنازة روميل»

ووصلت برقيات عزاء مماثلة من الدكتور جوبلز وزوجته وغيرها من القادة والزعماء الألمان . وشيعت جنازة روميل فى جنازة عسكرية بالغة الفخامة فى مدينة «أولم» وكان على رأس المشيعين وألقى كلمة تأبين الفيلد مارشال رونشتت ، وهو من ألمع القادة العسكريين الألمان على مستوى التخطيط العسكرى الاستراتيجى ، وكان يقود مالا يقل عن مجموعة جيوش وكان بالفعل هو قائد مجموعة الجيوش التى كانت تتبعها فرقة روميل البانزر السابعة عند الهجوم على فرنسا فى عام ١٩٤٠ . والأرجح أن الفيلد مارشال فون رونشتت لم يكن يعرف شيئا عن حقيقة السبب فى وفاة الفيلد مارشال إروين روميل . ولكن جنرالات ال S.S. هم وحدهم الذين كانوا يعرفون السبب .

وهكذا كانت تجرى الأمور فى ألمانيا النازية والحرب العالمية الثانية تقترب من نهايتها عام ١٩٤٤ ، والهزائم تتوالى على الجيوش الألمانية فوق الأراضى الألمانية ذاتها ، والضباط وصف الضباط والجنود وكثير من المدنيين الألمان يموتون بسبب الحرب التى أصر هتلر على أن يشعلها ليسيطر على العالم كله ولتكون ألمانيا فوق الجميع بوسائل دكتاتورية نازية إجرامية وأحلام مجنونة وسذاجة سياسية وجهالة عسكرية ، وفشل هتلر بطبيعة الحال فى أن يسيطر على العالم كله ، وسقط الوهم النازى الذى يتمثل فى شعار «ألمانيا فوق الجميع» . لتتضح الحقيقة لكل الناس متمثلة فى قول رب الناس فى القرآن الكريم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وإزاء هذه الحقيقة الربانية القرآنية يتضح زيف وخطأ أن يدعى أبناء أمة من الأمم أو دولة من الدول أو شعب من الشعوب أنهم «فوق الجميع» اغترارا بميزات جسمية أو عقلية أنعم الله على بعض الناس بها لعلهم يشكرون وإذا بهم يغترون بما أنعم الله به عليهم من نعم ويكفرون بها عندما يعتقدون خطأ «أنهم فوق الجميع» . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أهم المراجع

1- Rommel By: Desmond Young

2- The Rommel Papers

(مذكرات روميل)

- ب . هـ . ليدل هارت .
- لوسي ماريا روميل .
- مانفريد روميل .
- الجنرال فرتيز بايرلاين .

تعريف وتعليق : عقيد فتحي عبد ا# النمر .

٣- تاريخ ألمانيا للدكتور محمد كمال الدسوقي - ط : دار المعارف بالقاهرة

٤- القرارات المهلكة - تأليف مجموعة من القادة الألمان - ترجمة رشيد صالح - المؤسسة العربية .

٥- في الحرب - تأليف الجنرال كارل فون كلاوز فيتز - تعريب أكرم ديري والهيثم الأيوبي - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .